Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2022, **pp**. 27–37
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2022/004; ISSN: 3005-9933
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

سورة النمل آية 1 – 6 دراسة وتحليل

Surah An-Naml, verses 1-6, study and analysis

عماد كريم حمد [1]، * ، سلام عبود حسن [2]، سارا فاني [3]،
[1] كلية الامام الاعظم الجامعة، بغداد، العراق.
[2] الجامعة العراقية كلية التربية للبنات، بغداد، العراق
[3] ألما ماتر للدراسات، جامعة بولونيا، إيطاليا.

Imad Kareem Hamad[1,*], Selam Abbod Hasan [2], Sara Fani[3]
[1] *Imam Al-A'zam University College, Baghdad, Iraq.*
[2] *Iraqi University, College of Education for Girls, Baghdad, Iraq.*
[3] *Alma Mater of Studies, University of Bologna, Italy.*

الخلاصة

علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري... وإن هذه الأنواع وُجدت منذ الأيام الأولى لظهور علم التفسير، إلا أنها لم تتبلور ولم تتحدد ملامحها إلا في العصور المتأخرة، حيث قسم العلماءُ التفسيرَ وبيّنوا مناهج المفسرين فيه، وإن علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين - القدماء والمتأخرين - اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم ،و قد اخترت هذه اللون من التفسير كمنهج لكتابة بحثي هذا.

ABSTRACT

The sciences of the Holy Qur'an are the most noble of sciences. As it is linked to the holiest book, which is the glorious Book of God, and the science of interpretation is one of the most important sciences of the Holy Qur'an, and the interpretation of the Holy Qur'an has many forms and various sections, including analytical, objective, indicative, jurisprudential, and archaeological... and these types have existed since the early days. Due to the emergence of the science of interpretation, it did not crystallize and its features were not defined except in later eras, when scholars divided interpretation and explained the approaches of interpreters in it, and the science of analytical interpretation is one of the most important and famous of these divisions. Many commentators - ancient and recent - considered it their approach in their interpretations, such as Al-Zamakhshari, Al-Razi, Al-Alusi, Al-Zuhayli and others, and I chose this type of interpretation as a method for writing this research.

Keywords
الكلمات المفتاحية
Interpretation, Analysis, Judgments, Meanings, Style
التفسير ، التحليل، الأحكام ، المعاني، الأسلوب

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
18/02/2022	18/04/2022	29/04/2022

1. مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري... وإن هذه الأنواع وُجدت منذ الأيام الأولى لظهور علم التفسير، إلا أنها لم تتبلور ولم تتحدد ملامحها إلا في العصور المتأخرة، حيث قسم العلماءُ التفسيرَ وبيّنوا مناهج المفسرين فيه، وإن علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين – القدماء والمتأخرين – اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم.

*Corresponding author Kareem.hamad20041@gmail.com

CC BY

وإني قد اخترت هذه اللون من التفسير كمنهج لكتابة بحثي هذا، وتم نصحي باختيار (سورة النمل)، فقمت بجمع المادة العلمية للآيات القرآنية الكريمة، ثم عمدت إلى خطوات التفسير التحليلي فكان منهجي في البحث هو الآتي:

1. جعلت تمهيدا للبحث، تكملت فيه عن السورة الكريمة.
2. قمت بتفسير المفردات اللغوية الغريبة في الآيات الكريمة، بالاعتماد على كتب اللغة وبعض التفاسير.
3. قمت بإعراب ما أشكل من الكلمات، أو ما كان له تأثير في معنى الآية الكريمة.
4. أوردت الأوجه البلاغية في الآية الكريمة، بالاعتماد على كتب التفسير التي تشير إلى هذا الفن.
5. ثم أوردت المناسبة العامة للآيات الكريمة اعتمادا على كتب المناسبة المتوفرة، وأشهرها كتاب الإمام البقاعي.
6. أوردت ما ظفرت به من أسباب النزول الخاصة بالآيات الكريمة
7. أما فيما يخص المعنى العام للآيات الكريمة، فقد اعتمدت على أمهات كتب التفسير.
8. وأخيرا أوردت الأحكام المستفادة من الآية الكريمة، وقد اعتمدت فيها على ما أورده وهبة الزحيلي في (التفسير المنير) إذ أنه أوجزها بطريقة جميلة مختصرة غير مخلة.

هذا، وإني لا أدعي لبحثي الكمال، فالكمال لله وحده، فأسأله تعالى أن ينفع به المسلمين، والحمد لله أولا وآخرا.

2. تمهيد: بين يدي السورة

"مكية، وهي ثلاث وتسعون آية".[1]

2.1 تسميتها:

سميت سورة النمل لإيراد قصة وادي النمل فيها، ونصيحة نملة منها بقية النمل بدخول جحورهن، حتى لا يتعرضن للدهس من قبل جند سليمان عليه السلام دون قصد، ففهم سليمان الذي علمه الله منطق الطير والدواب كلامها، وتبسم ضاحكا من قولها، ودعا ربه أن يلهمه شكره على ما أنعم به عليه.

2.2 مناسبتها لما قبلها:

تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه:

1. أنها كالتتمة لها في بيان بقية قصص الأنبياء، وهي قصة داود وسليمان عليهما السلام.
2. أن فيها تفصيلا لما أجمل في سورة الشعراء من القصص النبوي، وهي قصة موسى في الآيات [7– 14] وقصة صالح في الآيات [45– 53] ولوط في الآيات [54– 58] .[2]
3. نزلت هذه السور الثلاث (الشعراء، والنمل، والقصص) متتالية على هذا الترتيب، وذلك كاف في ترتيبها في المصحف على هذا النحو. روي عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب نزول السور: أن الشعراء، ثم طس، ثم القصص. كما يوجد تشابه بينها في البداية والافتتاح (طسم، الشعراء، طس، النمل، طسم، القصص) ولعل التشابه بين الأولى والثالثة، والاختلاف الجزئي في الثانية دليل على تأكيد المقصود بهذه الحروف المقطعة وهو تحدي العرب بالقرآن الذي تكوّن من حروف لغتهم المتركبة في جمل، بزيادة أحيانا ونقص أحيانا من تلك الحروف.
4. كذلك وجد التشابه الموضوعي بينهما في وصف القرآن وتنزيله من عند الله لأنه قال في بداية الشعراء: تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ وقال هنا: ﴿تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ﴾ وقال في أواخر الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ﴾ وقال هنا: ﴿تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ﴾ أي الذي هو تنزيل رب العالمين.
5. تلتقي السورتان في بيان وحدة القصد من القصص القرآني، وهو تسلية الرسول صلّى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذى قومه، وإعراضهم عنه.[3]

2.3 مشتملاتها:

دعت هذه السورة إلى المبادرة إلى الإيمان بالله تعالى ربا وإلها لا شريك له، والتصديق بالبعث طريقا لإنصاف الخلائق، واتخاذ القرآن نبراسا ودستورا للحياة الإنسانية.

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420 هـ - 2000 م، 18/ 6 ، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م: 1/ 39.

[2] التفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي، ط1 ، دار الفكر، دمشق، 1991م: 19/ 252.

[3] التفسير المنير للزحيلي: 19/ 252.

3. المبحث الأول: رسالة القرآن

﴿طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ . هُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ . أُولئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ . وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) ﴾.[1]

3.1 المطلب الأول: مكان النزول وتحليل الكلمات

3.1.1 أولا: مكان النزول

هذه الآيات تبعا لسورة النمل نزلت في مكة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة.[2]

3.1.2 ثانيا: تحليل الكلمات

﴿طس﴾ تقرأ: طا، سين، وهذه الحروف المقطعة التي ابتدئ بها في كثير من السور القرآنية للتنبيه، أريد بها تحدي العرب للإتيان بمثل القرآن، ما دام مكونا من حروف لغتهم التي بها ينطقون ويخطبون وينظمون الشعر، و قال ابن عباس (طس) اسم من أسماء الله تعالى أقسم به. وقال قتادة إنه اسم من أَسْمَاءِ القرآن.[3]

﴿مبين﴾: بَيَّن بِهِ فقال: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) وجائز أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – هو النور الذي قال مثل نورِهِ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – هو المرشِدُ والمبيّنُ والناقل عن الله ما هو نيّرٌ، بَيّنٌ.[4]

﴿بشرى﴾: أَبْشَرْتُ الرجل وبَشَّرْتُهُ وبَشَرْتُهُ: أخبرته بسارّ بسط بشرة وجهه، وذلك أنّ النفس إذا سرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، وبين هذه الألفاظ فروق، فإنّ بشرته عامّ، وأبشرته نحو: أحمدته، وبشّرته على التكثير، وأبشر يكون لازما ومتعديا.[5]

﴿يُوقِنُونَ﴾: أي يصدقون ويعلمون بوجود الآخرة بالاستدلال، واليَقِينُ من صفة العلم فوق المعرفة والدّراية وأخواتها، يقال: علم يَقِينٍ، ولا يقال: معرفة يَقِينٍ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم.[6]

﴿زينا﴾: يقال: زَانَهُ كذا، وزَيَّنَهُ: إذا أظهر حسنه، إمّا بالفعل، أو بالقول، وقد نسب الله تعالى التّزيين في مواضع إلى نفسه، وفي مواضع إلى الشيطان، وفي مواضع ذكره غير مسمّى فاعله.[7]

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون ويتحيرون فيها لقبحها وعدم إدراكهم ما يتبعها من ضر أو نفع، أو يركبون رءُوسهم فلا يُبصرون،[8] يُقَال رجل عَمه وعامه: متحير جَائِر عَن الطَّرِيق.[9] والْعَمَهُ: التَّرَدُّدُ في الأمر من التّحيّر. يقال: عَمَهَ فهو عَمِهٌ وعَامِهٌ، وجمعه عُمَّهٌ.[10]

وقيل: العَمَهُ: هو انْطِمَاسُ البصيرة والتَّحَيُّر في الرَّأْيِ وفعله، والعَمَهُ للقَلْبِ كالعَمَى لِلْبَصَرِ وينتج عنه الحيرة والضَّلَالُ.[11]

3.2 المطلب الثاني: الأوجه الإعرابية

(وكتاب) بالجر عطفا على المجرور، وبالرفع عطفا على «آيات» فإن قيل: ما وجه الرفع عطفا على آيات؟ ففيه ثلاثة أوجه؛ أحدهما: أن الكتاب مجموع آيات، فكأن التأنيث على المعنى. والثاني: أن التقدير وآيات كتاب فأقيم المضاف إليه مقام المضاف، والثالث: أنه حسن لما صحت الإشارة إلى آيات، ولو ولي الكتاب «تلك» لم يحسن؛ ألا ترى أنك تقول: جاءتني هند وزيد، ولو حذفت هندا أو أخرتها لم يجز التأنيث.[12]

---

(1) سورة النمل: من آية 1 – 6.
(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 5.
(3) معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1 ، 1408 هـ - 1988 م، 4/ 107 ، وينظر: لسان العرب: 1/ 12 باب تفسير الحروف المقطعة.
(4) المصدر نفسه: 4/ 43.
(5) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - بيروت، ط1، 1412هـ، ص 125.
(6) المصدر نفسه: ص893.
(7) المصدر نفسه: ص389.
(8) غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398 هـ - 1978 م، ص41.
(9) غريب القرآن: المسمى بنزهة القلوب : محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى : 330هـ) تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، ط1، 1416هـ-1995م ص321.
(10) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص588.
(11) تفسير غريب القرآن: كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، دار بن حزم، ط1، 2008م، 2/ 15.
(12) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 2/ 1003.

(هُدىً) في موضع نصب على الحال، ويجوز فيه ما جاز في غيره في أول سورة «البقرة» في قوله جلّ وعزّ ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

(الذين) اسم موصول في محلّ جرّ نعت للمؤمنين، (الواو) عاطفة– أو حاليّة– (هم) الثاني في محلّ رفع توكيد للأول (بالآخرة) متعلّق ب (يوقنون) . وجملة: «يقيمون ... » لا محلّ لها صلة الموصول (الذين) . وجملة: «يؤتون ... » لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة. وجملة: «هم ... يوقنون ... » لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة. وجملة: «يوقنون ... » في محلّ رفع خبر المبتدأ (هم) الأول.[2]

(إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ) كلام مستأنف مسوق لبيان السبب في عدم إيمانهم وتحيرهم وتردّدهم في أعمالهم، وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة الذين وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بيؤمنون وجملة زينا خبر إن وزينا فعل وفاعل ولهم متعلقان بزينا وأعمالهم مفعول به والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يعمهون خبره.[3]

جملة «أولئك الذين» خبر ثان لـ إنَّ، جملة «لهم سوء» صلة الموصول الاسمي، «هم» الثانية توكيد للأولى، وجملة «وهم الأخسرون» معطوفة على جملة «لهم سوء» .[4]

«وَإِنَّكَ» الواو استئنافية وإن واسمها «لَتُلَقَّى» اللام المزحلقة وتلقى مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وهو المفعول الأول «الْقُرْآنَ» مفعول به ثان والجملة خبر «مِنْ لَدُنْ» متعلقان بتلقى «حَكِيمٍ» مضاف إليه «عَلِيمٍ» بدل من حكيم.[5]

3.3 المطلب الثالث: البلاغة

تضمنت الآيات وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1. الإشارة بالبعيد عن القريب: {تِلْكَ آيَاتُ القرآن} للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف.
2. التنكير: للتفخيم والتعظيم {وَكِتَابٍ مُّبِينٍ} أي كتابٍ عظيم الشأن رفيع القدر.[6]
3. ذكر المصدر بدل اسم الفاعل: للمبالغة {هُدًى وبشرى} أي هادياً ومبشراً.
4. تكرير الضمير: لإفادة الحصر والاختصاص {وَهُم بالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ} ومثله {وَهُمْ فِي الآخرة هُمُ الأخسرون}.[7]
5. التأكيد بإنَّ واللام {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآن} لوجود المتشككين في القرآن.[8]

3.4 المطلب الرابع: المناسبة

تقدم في التمهيد الكلام عن مناسبة سورة النمل لما قبلها، من وجوه عدة، وفيما يلي الكلام عن مناسبة الآيات محل البحث فيما بينها وبما بعدها، قال في نظم الدرر:

{طس} يشير إلى طهارة الطور وذي طوى منه وطيب طيبه، وسعد بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه الصلاة والسلام التي انتشر منها الناهي عن الظلم، وإلى أنه لما طهر سبحانه بني إسرائيل، وطيبهم بالابتلاء فصبروا، خلصهم من فرعون وجنوده بمسموع موسى عليه الصلاة والسلام للوحي المخالف لشعر الشعراء، وإفك الآثمين وزلته من الطور، ولم يذكر تمام أمرهم بإغراق فرعون، لأن مقصودها إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة، فلم يقتض الحال ذكر الميم.[9]

---

[1] إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1421 هـ، 3/ 135.

[2] الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، 19/ 138.

[3] إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، الطبعة : الرابعة ، 1415 ه، 7/ 163.

[4] المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: 1426هـ، 3/ 861.

[5] إعراب القرآن: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، دار المنير، ودار الفارابي – دمشق، الطبعة: الأولى، 1425ه، 2/ 400.

[6] ترك المعرفة واختيار النكرة في الكلام ممّا تتشعّب فيه أغراض البلغاء، وقد تتفَتَّقُ قرائح اللاحقين منهم عن أشياء لم يتنبّه إليه السابقون، إذ الأمر ليس اصطلاحاً لغويّاً حتّى ينحصر فيما اصطلح عليه الأولون، بل هي أغراضٌ تُقْصَدُ بلاغياً من خلال استعمالٍ لغويّ قابل لدلالات كثيرة، ولا سيما حينما نلاحظ أنّ ذكر النكرة غير موصوفة قد يوحي بطيّ الصفة في اللّفظ مع ملاحظة معناها ذهناً، والنكرة قابلة لأن توصف بأشياء كثيرة جدّاً، فقد توصف بالشيء، وقد توصف بضدّه، وعند حذف الصفة يبقى لفظها محتملاً، لكنّ قرائن الحال أو قرائن المقال قد تشعر بطيّ صفة مع إرادة معناها، وقد تُشعر أحياناً أخرى بطيّ نقيضها مع إرادة معناه، ومن هنا تتنوع الدواعي والأغراض. ينظر: البلاغة العربية: 400/1.

[7] التكرار: وهو ذكر الشيء مرّتين أو اكثر لأغراض كثيرة، منها الاختصاص. ينظر: علوم البلاغة: ص364.

[8] صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1 ، 1417 هـ - 1997 م 2/ 373.

[9] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: 855هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ 1995م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، 14/ 123.

ولما ختم التي قبلها بتحقيق أمر القرآن، وأنه من عند الله، ونفي الشبه عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر والأضغاث والافتراء والشعر، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين، وابتدأ هذه بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم مجموع لفظاً ومعنى لا فصم فيه ولا خلل، ولا وصم ولا زلل، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه، بما أشار إليه الكون من المسلمين فقال: {تلك} أي الآيات العالية المقام البعيدة المرام، البديعة النظام {آيات القرآن} أي الكامل في قرآنيته الجامع للأصول، الناشر للفروع، الذي لا خلل فيه ولا فصم، ولا صدع لولا وصم {و} آيات {كتاب} أي وأيّ كتاب هو مع كونه جامعاً لجميع ما يصلح المعاش والمعاد، قاطع في أحكامه، غالب في أحكامه، في كل من نقضه وإبرامه، وعطفه دون إتباعه للدلالة على أنه كامل في كل من قرآنيته وكتابيته {مبين*} أي بين في نفسه أنه من عند الله كاشف لكل مشكل، موضح لكل ملبس مما كان ومما هو كائن من الأحكام والدلائل في الأصول والفروع، والنكت والإشارات والمعارف، فيا له من جامع فارق واصل فاصل.[1]

3.5 المطلب الخامس: المعنى العام للآيات

افتتحت السورة الكريمة – كغيرها من سور القرآن الكريم – بأحرف مقطعة، وقد اختلف العلماء والمفسرون في تفسير هذه الحروف، فقيل: (طس) حروف مقطعة في أوائل السور، للتنبيه على إعجاز القرآن، ﴿تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ﴾ يعني: هذه الأحكام، ويقال: تلك الآيات التي وعدتم بها، وذلك أنهم وعدوا بالقرآن في كتبهم. ويقال: آياتُ يعني: العلامات ويقال: جميع أحرف القرآن وَكِتابٍ مُبِينٍ كلاهما واحد، وإنما كرر اللفظ للتأكيد مُبِينٍ يعني: بيّن ما فيه من أمره ونهيه. ويقال: مبين لأحكام الحلال والحرام.[2]

وعطف الكتاب على القرآن من عطف إحدى الصفتين على الأخرى، كما بينا في المفردات، كما تقول: هذا فعل السخي والجواد والكريم. ويلاحظ أن هاتين الصفتين مرة يذكران بالتعريف، ومرة بالتنكير، والمعنى واحد، وأن القرآن له صفتان: قرآن وكتاب لأنه يظهر بالقراءة والكتابة.

﴿هُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي إن القرآن هاد للناس من الضلالة، ومبشر المؤمنين الطائعين بالجنة وبرحمة الله تعالى.

ومعنى كون القرآن هدى للمؤمنين: أنه يزيدهم هدى على هداهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً، وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[3] وأنه يهديهم إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾.[4]

وقوله: (هُدًى) يحتمل وجهين: أحدهما: دعاء؛ كقوله: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) أي: داع يدعو الخلق إلى توحيد الله تعالى؛ فعلى ذلك يحتمل قوله: (هُدًى) أي: دعاء، يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، فإن كان هذا فهو للناس كافة. والثاني: جائز أن يريد بالهدى: الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده، فهو للمؤمنين خاصة، وإن كان أراد به البيان والدعاء فهو للكل.[5]

والتخصيص بالمؤمنين للدلالة على أن الهداية والبشارة إنما يحصلان لمن آمن به، واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه. ثم ذكر تعالى مظاهر الإيمان فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي إن المؤمنين المنتفعين بالقرآن هداية وبشارة هم الذين يؤدون الصلاة كاملة الأركان، تامة الشروط، مستحضرا فيها المصلي عظمة ربه، خاشعا في تلاوته ومناجاته وأذكاره وتسبيحاته، ويعطون الزكاة المفروضة المطهرة لأموالهم وأنفسهم من الدنس والشبهات، ويوقنون بالدار الآخرة، والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها، والجنة والنار، فيستعدون للأنسب الأفضل لهم، ويطيعون ربهم فيما أمر به، وينأون عما نهي عنه وزجر.

ثم قارن الله تعالى حال هؤلاء بحال من لا يؤمن بالآخرة، فذكر منكري البعث بعد ذكر المؤمنين الموقنين بالبعث فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ، فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي إن الذين يكذبون بالآخرة ويستبعدون وقوعها بعد الموت، حسّنا لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غيهم، فهم يتيهون ويترددون في ضلالهم، جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.[6]

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ﴾ فى الدنيا بقتلهم وأسرهم حين قتال المؤمنين كما حدث يوم بدر. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي وهم فى الآخرة أعظم خسرانا مما هم فيه فى الدنيا، لأن عذابهم فيها مستمر لا ينقطع، وعذابهم فى الدنيا ليس بدائم بل هو زائل لا بقاء له.[7]

---

(1) المصدر السابق: 14/ 123.
(2) بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي، 2/ 572.
(3) سورة التوبة : آية 124.
(4) سورة النساء : آية 175.
(5) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي المتوفى: 333هـ، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، 8/ 95.
(6) سورة الأنعام : آية 110.
(7) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371 هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1 ، 1365 هـ - 1946 م، 19/ 120.

وبعد وصف حال المؤمنين بالقرآن والمكذبين به، ذكر الله تعالى حال المنزل عليه فقال: وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ أي وإنك أيها الرسول لتأخذ القرآن وتعطاه وتتعلمه من عند حكيم في أمره ونهيه وتدبير خلقه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها وبأحوال خلقه وما فيه خيرهم، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا﴾.[1]

3.6 المطلب السادس: ما يستفاد من الآيات الكريمة

يفهم من هذه الآيات ما يلي:

1. آيات هذه السورة آيات القرآن، وآيات كتاب مبين، وهما صفتان: صفة بأنه قرآن مقروء مجموع مصون، وصفة بأنه كتاب مكتوب، فهو يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة. وذكر القرآن بلفظ المعرفة، وذكر كتاب بلفظ النكرة، وهما في معنى المعرفة، كما تقول: فلان رجل عاقل، وفلان الرجل العاقل. وذلك بدليل ورودهما في سورة الحجر بالعكس: الر، تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ فورد الكتاب بلفظ المعرفة، والقرآن بلفظ النكرة لأن القرآن والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما أن يجعل معرفة، وأن يجعل صفة. ووصف القرآن أو الكتاب بصفة «المبين» لأنه تعالى بيّن فيه أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده.
2. وكذلك آيات هذا الكتاب أو القرآن هادية ومبشرة للمؤمنين بالجنة، أولئك المؤمنون المتصفون بأنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصدقون بالآخرة صدقا لا شك فيه ولا تردد.
3. أما الذين لا يصدقون بالبعث فهم في حيرة وضلالة، يترددون في مهاوي الضلال، لذا عاقبهم الله جزاء كفرهم بتزيين أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، قال الزجّاج: «جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه» وهم يترددون في أعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم. ولهم عدا هذا العقاب المعنوي عقاب مادي سيء في الدنيا والآخرة وهو جهنم، وبما أنهم خسروا الآخرة بكفرهم، فهم أخسر كل خاسر.
4. إن تنزيل القرآن على النبي صلّى الله عليه وسلم وتعليمه إياه وتلقينه به من عند الله العلي الحكيم بتدبير خلقه، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم. وهذه الآية الأخيرة تمهيد لسياق القصص التالية عن الأنبياء عليهم السلام.[2]

4. المبحث الثاني: قصة موسى عليه السلام بالوادي المقدس

﴿إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها وَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (8) يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) ﴾.

4.1 المطلب الأول: المفردات اللغوية

آنَسْتُ: أبصرت من بعيد، وسُمي {الإنس} إنسا: لظهورهم، وإدراكِ البصر إياهم. وهو من قولك: آنستُ كذا؛ أي: أبصرتُه.[3]

وقيل: الإيناس الرُّؤْيَة وَالْعلم والإحساس بالشَّيْء.[4]

بِشِهابٍ قَبَسٍ: الشهاب: شعلة من نار تقتسبون منه، والقبس: قطعة من النار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.[5] أو بشعلة نَار فِي رَأس عود.[6]

وقرئ: (بشهاب قبس) على الإضافة والشهاب والقبس والجذوة كل عود أشعلت في طرفه النار، وقد يضاف الشيء إلى نفسه كما قالوا حبة الخضراء، ومسجد الجامع، وحق اليقين، وما أشبه ذلك أضيف أوائلها إلى ثوانيها، وهي هي في المعنى.[7]

---

(1) سورة الأنعام 115.
(2) التفسير المنير للزحيلي: 19/ 259.
(3) غريب القرآن لابن قتيبة: ص 21.
(4) غريب القرآن للسجستاني: ص 54.
(5) تفسير المراغي: 79/7.
(6) غريب القرآن للسجستاني: ص 293.
(7) الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401 هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، ط1 ، 1419 هـ - 1999 م، 3/ 1044.

تَصْطَلُونَ: تستدفئون من البرد، وهو تَفْتَعِلون من الصَّلَى: أي تسخُنون. يُقال: اصطَلَيْت النارَ وبِالنَّار، ومُصْطَلَى الرَّجُلِ: وَجْهُه وَيَدَاه ورِجْلاه، وما يَلْقَى به النارَ إذا اصْطَلَى بها، والطاء في هذه الكلمات أَصلُها التَّاء وصارت طاءً لمجاورتها الصاد.[1]

و {اصلوها}: ذوقوا حرها. {تصطلون}: تسخنون. {نصليهم نارا}: نشويهم بها.[2]

جَانٌّ: حية خفيفة سريعة، و الجان الصغير من الحيات،[3] وقال في موضع آخر: {فإذا هي ثعبان مبين} فالمعنى أنها في خلق الثعبان العظيم، وخفة الحية الصغيرة، وتوقدها وتلويها.[4]

وَلَمْ يُعَقِّبْ: لم يرجع على عقبه، ويقال: لم يلتفت، يقال: كَرَّ على القوم وما عَقَّب.[5]

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ: من غير برص ونحوه من الآفات، لها شعاع يغشي البصر.[6]

فِي تِسْعِ آياتٍ: هي فلق البحر، والطوفان، والجراد، والقمّل، والضفادع، والدم، والطمسة، وجدب واديهم، ونقصان مزارعهم. ومن عد العصا واليد من التسع جعل الأخيرين واحدا، ولم يعد الفلق منها لأنه لم يبعث به إلى فرعون وقومه.[7]

4.2 المطلب الثاني: الأوجه الإعرابية

(إذ) اسم ظرفيّ في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر (لأهله) متعلّق ب (قال) ، (السين) حرف استقبال (منها) متعلّق ب (آتيكم) الأول «1» ، (بخبر) متعلّق ب (آتيكم) الأول (بشهاب) متعلّق ب (آتيكم) الثاني (قبس) بدل من شهاب مجرور. جملة: «قال موسى ... » في محلّ جرّ مضاف إليه ... وجملة اذكر المقدّرة لا محلّ لها استئنافيّة. وجملة: «إني آنست..» في محلّ نصب مقول القول. وجملة: «آنست نارا ... » في محلّ رفع خبر إنّ. وجملة: «سآتيكم ... » لا محلّ لها استئناف بيانيّ. وجملة: «آتيكم (الثانية) » لا محلّ لها معطوفة على جملة آتيكم (الأولى) . وجملة: «لعلّكم تصطلون» لا محلّ لها تعليليّة– أو استئناف بيانيّ– وجملة: «تصطلون ... » في محلّ رفع خبر لعلّ.[8]

﴿فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها﴾ الفاء عاطفة على محذوف للاختصار ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونائب فاعل نودي ضمير مستتر تقديره هو يعود على موسى، وأن هي المفسرة لأن في النداء معنى القول دون حروفه والمعنى قيل له بورك ويجوز أن تكون على حالها أي ناصبة للفعل المضارع وقد دخلت على الماضي، أو مخففة من الثقيلة، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن بورك، وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحا لأنها واهنة، وبورك فعل ماض مبني للمجهول ومن نائب فاعل وفي النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة من أي في مكان النار، ومن حولها عطف على من في النار والمراد بمن إما الله تعالى على حذف أي قدرته وسلطانه وقيل المراد موسى وقيل المراد بمن غير العقلاء وهو النور والأمكنة التي حولها.[9]

الهاء في «إنه» ضمير الشأن، والجملة جواب النداء مستأنفة. وجملة «أنا الله» خبر «إنه» ، «العزيز الحكيم» نعتان للجلالة. جملة «وألق عصاك» معطوفة على جملة {إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ} ، وجملة الشرط مستأنفة، وجملة «تهتز» حالية من الهاء في «رآها» ، وجملة «كأنها جان» حالية من فاعل «تهتز» ، «مدبرا» : حال مؤكدة لعاملها، وجملة «ولم يعقّب» معطوفة على جواب الشرط «ولّى» ، وجملة «يا موسى» مستأنفة، وجملة «إني لا يخاف لدي المرسلون» مستأنفة في حيز جواب النداء، «لديّ» ظرف مكان مبني على السكون متعلق بالفعل، والياء الثانية مضاف إليه.[10]

«وَأَلْقِ عَصاكَ» أمر فاعله مستتر ومفعول به والكاف مضاف إليه والجملة معطوفة «فَلَمَّا رَآها» لما ظرفية شرطية غير جازمة «رَآها» ماض وفاعله مستتر والها مفعول به والجملة مضاف إليه «تَهْتَزُّ» الجملة حالية «كَأَنَّها جَانٌّ» كأن واسمها وخبرها والجملة حالية «وَلَّى مُدْبِراً» ماض فاعله مستتر ومدبرا حال «وَلَمْ يُعَقِّبْ»

---

(1) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: 581هـ) تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1 ، (1406 هـ - 1986 م)، 2/ 288.

(2) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط1 ، 1403هـ - 1983م، ص 202.

(3) معاني القرآن للنحاس: 5/ 75.

(4) الغريبين في القرآن والحديث للهروي: 1/ 379.

(5) غريب القرآن لابن قتيبة: 322.

(6) ينظر: معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1 ، د. ت، 178/2، والسراج في بيان غريب القرآن: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط1 ، 1429 هـ - 2008 م، 197.

(7) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4/ 110.

(8) الجدول في إعراب القرآن الكريم: 19/ 141.

(9) إعراب القرآن وبيانه: 7/ 170.

(10) المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 3/ 862.

الجملة معطوفة «يا مُوسى» منادى بيا «لا تَخَفْ» لا ناهية ومضارع مجزوم «إِنِّي» إن واسمها «لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ» مضارع وفاعله ولدي ظرف متعلق بالفعل والجملة مستأنفة.[1]

4.3 المطلب الثالث: البلاغة

1. إيجاز الحذف {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية الخ وذلك لدلالة السياق عليه.
2. الطباق[2] {حُسْناً بَعْدَ سواء} . وبين {ولى مُدْبِراً. . وَلَمْ يُعَقِّبْ} .
3. الاستعارة[3] {آيَاتُنَا مُبْصِرَةً} استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن بالعينين يبصر الإنسان الأشياء.
4. التشبيه[4] المرسل المجمل {كَأَنَّهَا جَانٌّ} ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مرسلاً مجملاً.
5. حسن الاعتذار {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}.[5]

4.4 المطلب الرابع: المناسبة

بعد أن أخبر الله تعالى أن القرآن المجيد متلقى من عند الله الحكيم العليم، أمر النبي صلّى الله عليه وسلم بتلاوة بعض ما تلقاه، تقريرا له، وهو ما أورده من بعض القصص للعظة والذكرى، ولما وصفه بتمام الحكمة وشمول العلم، دل على كل من الوصفين، وعلى إبانه القرآن وما له من العظمة التي أشار إليها أول السورة بما يأتي في السورة من القصص وغيرها، واقتصر في هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم التناسب المناسب لمقصود السورة، فابتدىء بقصة أطبق فيها الأباعد على الكفران فأهلكوا، والأقارب على الإيمان فأنجوا، وثنى بقصة أجمع فيها الأباعد على الإيمان، لم يتخلف منهم إنسان، وثلث بأخرى حصل بين الأقارب فيها الفرقان، باقتسام الكفر والإيمان، وختم بقصة تمالأ الأباعد فيها على العصيان، وأصروا على الكفران، فابتلعتهم الأرض ثم غطوا بالماء كما بلغ الأولين الماء فكان فيه التواء.[6]

4.5 المطلب الخامس: المعنى العام

ابتدأ الله تعالى بالتذكير بقصة موسى كيف اصطفاه الله وكلّمه وناجاه، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجحدوا بها وكفروا، واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال: ﴿إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ: إِنِّي آنَسْتُ ناراً، سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ، لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي اذكر أيها الرسول حين سار موسى بأهله (زوجته) من مدين إلى مصر، فضل الطريق في ليل مظلم، فرأى من بعيد نارا تتأجج وتضطرم، فقال لأهله مستبشرا بمعرفة الطريق والاصطلاء بالنار: إني أبصرت نارا، سآتيكم منها بخبر عن الطريق، أو آتيكم منها بشعلة نار، تستدفئون بها في هذه الليلة الباردة.[7]

وقيل: سار موسى بأهله من مدين شعيب متوجها إلى مصر، ودجا عليه الليل، وأخذ امرأته الطّلق وهبّت الرياح الباردة، ولم يور الزّند، وضاق على موسى الأمر، واستبهم الوقت، وتشتتت به الهمة، واستولى على قلبه الشغل. ثم رأى نارا من بعيد، فقال لأهله: امكثوا إنّى أبصرت نارا. وفي القصة: إنه تشتت أغنامه، وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه فشردت، فقالت امرأته: كيف تتركنا وتمضى والوادي مسبع؟! فقال: امكثوا.. فإنى لأجلكم أمضى وأتعرف أمر هذه النار، لعلّى آتيكم منها إمّا بقبس أو شعلة، أو بخبر عن قوم نزول عليها تكون لنا بهم استعانة، ومن جهتهم انتفاع. وبدت لعينه تلك النار قريبة، فكان يمشى نحوها، وهي تتباعد حتى قرب منها، فرأى شجرة رطبة خضراء تشتعل كلّها من أولها إلى آخرها، وهي نار مضيئة، فجمع خشيبات وأراد أن يقتبس منها، فعند ذلك سمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهّم المخالفون من أهل البدع. وحصل الإجماع أنّ موسى سمع تلك الليلة كلام الله، ولو كان النداء في الشجرة لكان المتكلم به الشجرة، ولأجل الإجماع قلنا: لم يكن النداء في الشجرة. وإلا فنحن نجوّز أن يخلق الله نداء فى الشجرة ويكون تعريفا، ولكن حينئذ يكون المتكلم بذلك الشجرة.[8]

---

[1] إعراب القرآن للدعاس: 2/ 401.

[2] الطباق: هو الجمع بين الضّدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 477.

[3] الاستعارة: «هي تشبيه حذف منه المشبّه به او المشبه، ولا بدّ أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما، كما لا بدّ من وجود قرينة لفظية أو حالّية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبّه به أو المشبّه». معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة– المهندس، ص 19.

[4] التشبيه: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام. علوم البلاغة – البديع والبيان والمعاني: 143.

[5] صفوة التفاسير: 2/ 373.

[6] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 14/ 130.

[7] التفسير المنير للزحيلي: 19/ 263.

[8] لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط3، 3/ 25.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى: (إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ) في نقمته من أعدائه (الحَكِيمُ) في تدبيره في خلقه، والهاء التي في قوله: (إِنَّهُ) هاء عماد، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية. وقال بعض نحويي الكوفة: يقول هي الهاء المجهولة، ومعناها: أن الأمر والشأن: أنا الله.[1]

ثم أراه قدرته وأيده بالمعجزات، فقال تعالى: المعجزة الأولى: ﴿وَأَلْقِ عَصاكَ، فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ، وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي أمره الله بإلقاء عصاه من يده على الأرض، فلما ألقاها، انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة، في غاية الكبر وسرعة الحركة معا، فلما رآها هكذا، ولّى هاربا خوفا منها، ولم يرجع على عقبيه، ولم يلتفت وراءه من شدة خوفه. فهدّأ الحق تعالى نفسه، وأزال عنه الرعب، فقال: ﴿يا مُوسى، لا تَخَفْ، إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي لا تخف يا موسى مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولا، وأجعلك نبيا وجيها، ولا يخاف عندي الرسل والأنبياء إذا أمرتهم بإظهار المعجزة.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا استثناء عظيم، وبشارة عظيمة للبشر في هذا الكلام الرباني المباشر مع موسى، أي لكن من ظلم نفسه أو غيره أو كان على عمل سيء، ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب إلى ربه، فإن الله يقبل توبته لأنه بدل بتوبته عملا حسنا بعد سوء، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.[3]

المعجزة الثانية: ﴿ (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص. وكان موسى أسمر شديد السمرة، ثم أعاد يده إلى جيبه فعادت إلى لونها الأول. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضئ ما بين السماء والأرض. وقيل: كانت تخرج يده بيضاء كالثلج تلوح، فإذا ردها عادت إلى مثل سائر بدنه.[4]

﴿فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ أي هاتان المعجزتان أو الآيتان في جملة أو من تسع آيات أخرى أؤيدك بهن، وأجعلها برهانا لك، مرسلا بها إلى فرعون وقومه، كما قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾.[5] ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ أي لأنهم كانوا قوما عصاة خارجين عن دائرة الحق، بتأليه فرعون. وهذا تعليل لما سبق من تأييده بالمعجزات.

ثم كان اللقاء مع فرعون وقومه، فقال تعالى: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا بأن جاءهم موسى بها. مُبْصِرَةً بينة اسم فاعل أطلق للمفعول، إشعارا بأنها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي، أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها. وقرئ «مُبْصِرَةً» أي مكاناً يكثركم فيه التبصر. قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ واضح سحريته. وَجَحَدُوا بِها وكذبوا بها. وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ وقد استيقنتها لأن الواو للحال. ظُلْماً لأنفسهم. وَعُلُوًّا ترفعاً عن الإيمان وانتصابهما على العلة من جَحَدُوا. فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة.[6] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي انظر أيها الرسول وكل سامع كيف كان عاقبة أمر فرعون وقومه في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة. وفي هذا تحذير لمكذبي الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشرية.

والمعنى: فاحذروا أيها المكذّبون لمحمد صلّى الله عليه وسلم، الجاحدون لما جاء به من عند ربه أن يصيبكم مثل ما أصاب أولئك بطريق الأولى والأخرى، لأن النبوات ختمت برسالته، ولأن القرآن المنزل عليه مصدّق لما بين يديه وما تقدمه من الكتب السابقة ومهيمن عليها، ولبشارات الأنبياء به وأخذ المواثيق له، ولتأييده بأدلة دالة على صدق نبوته أكثر من موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء والرسل، وعلى رأسها معجزة القرآن المجيد، كما أخبر تعالى في مطلع هذه السورة: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

4.6 المطلب السادس: ما يستفاد من الآيات الكريمة

1. تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور عديدة، لما تضمنت من العظة والعبرة التي تتجلى في قهر الله أكبر قوة عاتية بشرية وتحطيم جبروت سلطة ظالمة غاشمة، على يد رجل أعزل من السلاح هو وأخوه هارون إلا أنهما قويان بقوة الله، وقوة الإيمان، وعظمة النبوة.
2. هذه النار التي رآها موسى فيض من نور الله، تمهيدا لتكليم الله موسى وتحيته وجعله نبيا رسولا، وتنزيها وتقديسا لله رب العالمين، علما بأن هذا الكلام الأخير من قول الله تعالى تعليما لنا، وقيل: إن موسى عليه السلام قال حين فرغ من سماع النداء: استعانة بالله تعالى وتنزيها له.
3. ثم جعل له تسع آيات دليلا وبرهانا على نبوته، وأهمها وأبرزها: العصا واليد، فكان إذا ألقى عصاه من يده، صارت حية تهتز كأنها جانّ، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم، وقيل: إنها كبيرة ضخمة ذات حركة سريعة. وإذ أدخل يده في جيب ثم أخرجها أصبحت ذات مصدر إشعاع ونور كالقمر.

---

[1] جامع البيان للطبري: 19/ 430.
[2] سورة طه 82.
[3] سورة النساء 110.
[4] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب-القاهرة، 257/7.
[5] سورة الإسراء 101.
[6] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 ، 1418 ه، 4/ 156.

4. فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أي انظر يا محمد كيف كان مصير أو آخر أمر الكافرين الظالمين، انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه، ولينظر أيضا كل عاقل، وليعتبر بالنتائج الحادثة بأسباب تؤدي إليها في سنة الله ونظامه. [1]

5. الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في هذا البحث, عسى أني قد وفقت فيه, ولكن لا بد أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها وقد أوجزتها في النقاط الآتية:

- علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد.
- تفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري.
- علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين – القدماء والمتأخرين – اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم.
- سميت سورة النمل لإيراد قصة وادي النمل فيها، ونصيحة نملة منها بقية النمل بدخول جحورهن، حتى لا يتعرضن للدهس من قبل جند سليمان عليه السلام دون قصد.
- دعت هذه السورة إلى المبادرة إلى الإيمان بالله تعالى ربا وإلها لا شريك له، والتصديق بالبعث طريقا لإنصاف الخلائق، واتخاذ القرآن نبراسا ودستورا للحياة الإنسانية.
- آيات هذه السورة آيات القرآن، وآيات كتاب مبين، وهما صفتان: صفة بأنه قرآن مقروء مجموع مصون، وصفة بأنه كتاب مكتوب، فهو يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة.
- تكررت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سور عديدة، لما تضمنت من العظة والعبرة التي تتجلى في قهر الله أكبر قوة عاتية بشرية وتحطيم جبروت سلطة ظالمة غاشمة، على يد رجل أعزل من السلاح هو وأخوه هارون إلا أنهما قويان بقوة الله، وقوة الإيمان، وعظمة النبوة.

Funding:

The authors declare that no specific financial aid or sponsorship was received from governmental, private, or commercial entities to support this study. The research was solely financed by the authors' own contributions.

Conflicts of Interest:

The authors declare that there are no conflicts of interest in this study.

Acknowledgment:

The authors express their heartfelt appreciation to their institutions for the essential support and motivation provided throughout the research period.

References

[1] *Al-Qur'ān al-Karīm.*

[2] Da''ās, A. U., Ḥumaidān, A. M., & al-Qāsim, I. M. (2004). *I'rāb al-Qur'ān al-Karīm.* Damascus, Syria: Dār al-Munīr & Dār al-Fārābī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23584

[3] al-Naḥḥās, A. M. I. Y. (d. 338 AH). (2000). *I'rāb al-Qur'ān* (ʿA. K. Ibrāhīm, Ed. & Annot.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23587

[4] Darwīsh, M. D. (d. 1403 AH). (1995). *I'rāb al-Qur'ān wa-bayānuh.* Homs, Syria: Dār al-Irshād li-l-Shu'ūn al-Jāmi'iyyah; Beirut, Lebanon: Dār al-Yamāmah & Dār Ibn Kathīr, Retrieved from: https://ziydia.com/index.php/Book/204

[5] al-Bayḍāwī, N. D. ʿA. U. M. (d. 685 AH). (1997). *Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl* (M. ʿA. al-Marʿashlī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23588

[6] al-Samarqandī, N. M. A. (n.d.). *Baḥr al-ʾulūm* (M. Maṭrajī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://old.shamela.ws/rep.php/book/1902

[7] Ibn Qutaybah, ʿA. M. (d. 276 AH). (n.d.). *Ta'wīl mushkil al-Qur'ān* (I. Shams al-Dīn, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23596

[8] al-ʿAkbarī, ʿA. Ḥ. (d. 616 AH). (n.d.). *al-Tibyān fī iʿrāb al-Qur'ān* (ʿA. M. al-Bajāwī, Ed.). Cairo, Egypt: ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāʾ, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22928

[9] Abū Ḥayyān al-Andalusī, M. Y. (d. 745 AH). (1983). *Tuḥfat al-arīb bimā fī al-Qur'ān min al-gharīb* (S. al-Majdhūb, Ed.). Beirut, Lebanon: al-Maktab al-Islāmī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/13304/1

[1] التفسير المنير للزحيلي: 19/ 267.

[10] al-Māturīdī, M. M. M. (d. 333 AH). (2005). *Taʾwīlāt ahl al-sunnah (Tafsīr al-Māturīdī)* (M. Bāslūm, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Retrieved from: https://quranpedia.net/book/14730

[11] al-Marāghī, A. M. (1946). *Tafsīr al-Marāghī.* Cairo, Egypt: Maktabat wa-Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlādih, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23608

[12] al-Zuḥaylī, W. (1991). *al-Tafsīr al-munīr.* Damascus, Syria: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22915

[13] al-Kuwayrī, K. M. J. A. (2008). *Tafsīr gharīb al-Qurʾān.* Beirut, Lebanon: Dār Ibn Ḥazm, Retrieved from: https://shamela.ws/book/37660

[14] al-Ṭabarī, M. J. I. Y. G. (d. 310 AH). (2000). *Jāmiʿ al-bayān fī taʾwīl al-Qurʾān* (A. M. Shākir, Ed.). Beirut, Lebanon: Muʾassasat al-Risālah, Retrieved from: https://ketabonline.com/ar/books/4750

[15] al-Qurṭubī, M. A. (d. 671 AH). (1964). al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān (Tafsīr al-Qurṭubī) (A. al-Bardūnī & I. Aṭfīsh, Eds., 2nd ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/20855

[16] Ṣāfī, M. ʿA. (d. 1376 AH). (1997). *al-Jadwal fī iʿrāb al-Qurʾān al-Karīm* (4th ed.). Damascus, Syria: Dār al-Rashīd; Beirut, Lebanon: Muʾassasat al-Īmān, Retrieved from: https://shamela.ws/book/22916

[17] Ibn Zanjalah, ʿA. R. M. (d. ca. 403 AH). (1997). Ḥujjat al-qirāʾāt (S. al-Afghānī, Ed., 5th ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Risālah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/5531

[18] al-Ṣābūnī, M. ʿA. (1997). *Ṣafwat al-tafāsīr* (1st ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Ṣābūnī li-l-Ṭibāʿah wa-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ, Retrieved from: https://shamela.ws/book/8967

[19] Ibn Qutaybah, ʿA. M. (d. 276 AH). (1978). *Gharīb al-Qurʾān* (A. Ṣaqr, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/3259

[20] al-Sijistānī, M. ʿU. (d. 330 AH). (1995). *Gharīb al-Qurʾān al-musammā bi-Nuzhat al-qulūb* (M. ʿA. ʿA. Jumlān, Ed.). Damascus, Syria: Dār Qutaybah, Retrieved from: PDF

[21] al-Harawī, A. M. (d. 401 AH). (1999). *al-Gharībayn fī al-Qurʾān wa-l-ḥadīth* (A. F. al-Mazīdī, Ed.; F. Ḥijāzī, Rev.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat Nizār Muṣṭafā al-Bāz, Retrieved from: https://shamela.ws/book/16782

[22] Sālim, M. I. M. (2003). *Farīdat al-dahr fī taʾṣīl wa-jamʿ al-qirāʾāt al-ʿashr* (1st ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Bayān al-ʿArabī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/29909

[23] al-Qushayrī, ʿA. H. (d. 465 AH). (n.d.). *Laṭāʾif al-ishārāt = Tafsīr al-Qushayrī* (I. al-Bisyūnī, Ed.; 3rd ed.). Cairo, Egypt: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li-l-Kitāb, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23629

[24] al-Khaṭṭāṭ, A. M. (2005). *al-Mujtabā min mushkil iʿrāb al-Qurʾān.* Medina, Saudi Arabia: Mujammaʿ al-Malik Fahd li-Ṭibāʿat al-Muṣḥaf al-Sharīf, Retrieved from: https://shamela.ws/book/9617

[25] Abū Mūsā al-Aṣbahānī, M. ʿU. (d. 581 AH). (1986). *al-Majmūʿ al-mughīth fī gharībī al-Qurʾān wa-l-ḥadīth* (ʿA. al-ʿAzbāwī, Ed.). Mecca, Saudi Arabia: Jāmiʿat Umm al-Qurā, Markaz al-Baḥth al-ʿIlmī wa-Iḥyāʾ al-Turāth al-Islāmī; Jeddah, Saudi Arabia: Dār al-Madanī, Retrieved from: https://shamela.ws/book/17124

[26] al-Zajjāj, I. S. (d. 311 AH). (1988). *Maʿānī al-Qurʾān wa-iʿrābuh* (ʿA. J. Shalabī, Ed.). Beirut, Lebanon: ʿĀlam al-Kutub, Retrieved from: https://shamela.ws/book/922

[27] al-Farrāʾ, Y. Z. (d. 207 AH). (n.d.). *Maʿānī al-Qurʾān* (A. Y. al-Najjātī, M. ʿA. al-Najjār, & ʿA. I. al-Shalabī, Eds.). Cairo, Egypt: Dār al-Miṣriyyah li-l-Taʾlīf wa-l-Tarjamah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23634

[28] al-Harawī, M. A. (d. 370 AH). (1991). *Maʿānī al-qirāʾāt* (1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Markaz al-Buḥūth, Kulliyyat al-Ādāb, Jāmiʿat al-Malik Saʿūd, Retrieved from: https://shamela.ws/book/8229

[29] al-Rāghib al-Aṣfahānī, Ḥ. M. (d. 502 AH). (1991). *al-Mufradāt fī gharīb al-Qurʾān* (Ṣ. ʿA. al-Dāʾūdī, Ed.). Damascus, Syria / Beirut, Lebanon: Dār al-Qalam & al-Dār al-Shāmiyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/23636

[30] al-Biqāʿī, I. ʿU. (d. 885 AH). (1995). *Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-l-suwar* (ʿA. G. al-Mahdī, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/9098

[31] al-Khuḍayrī, M. ʿA. (2008). *al-Sirāj fī bayān gharīb al-Qurʾān* (1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭaniyyah, Retrieved from: https://shamela.ws/book/14531